من كتاب (حكاية الينابيع) المقامة المِغْزَلِيّة

كتاب (حكاية الينابيع) الذي يوثق مسيرة (منتدى الينابيع الهَجَريّة) خلال أربعة عقود منذ تأسيسه عام 1407هـ ، يزخر بالحكايا الشيقة و الأشعار الطريفة ، لأنه و بكل بساطة يؤرخ علاقة مجموعة من الشعراء الظرفاء المخلصين في مودتهم والمخلصين لأدبهم .

و من أطرف تلك الحكايا حكاية (المقامة المِغزلية) ، التي كتبتها من باب التنويع ، وربما من باب استكشاف القدرة على مجاراة من أبدعوا في هذا الفن ، و على أثر معرفتنا و تواصلنا بالمرحوم الشيخ إبراهيم الغراش من القطيف الذي كان مفتونا (بمقامات الحريري) مما دعاني شخصيا لإعادة قراءتها مجددا . وهي كنز ثمين لطلاب المهارات ا للغوية والأدبية ، و كانت مقررة حفظا على طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف يوما ما .

فحدث أن تغيّب الأخ الشاعر الشيخ عبدا بن محمد السعد عن إحدى جلسات المنتدى ـ لذهابه في رحلة مع بعض الصبية الذين كان يعطيهم دروسا في المسجد ـ في وقت كثر فيه غياب بعض الزملاء من شعراء المنتدى الذين لم يكن يفلت واحد منهم دون جلد بقصيدة أو ببضعة أبيات تعيده إلى جادة الانضباط ، وكان نصيب الشيخ عبدا السعد هذه المرة هذه المقامة الموشاة ببعض الأبيات الشعرية على نهج (الحريري) في مقاماته الشهيرة .

المقامة المِغزلية ..

(من العاتب الموجود، ناجي بن داود، إلى ناكث العهد، عبد ا بن سعد، السلام على من اتبع الهدى أما بعـد :

فويحك يا بن سعد، أضاق الدهر بيومٍ تعبث فيه مع صبيتك ، ونهارٍ تتقلّب فيه معهم في صبوتك، عن سويعاتٍ تتشرّف فيها بلقاء صحبتك ؟ فصعّرتَ خدّك غير مكترثٍ بميعاد، ولا بمن ينتظرونه على شوك القتاد، ولا بمن يقطعون له طول البلاد:

يحثون للعَليا النفوسَ بهمّةٍ ...

ترى رفعةَ الجوزاءِ دون مُرادِها

ويُزجُون للآمالِ كلَّ جَلودةٍ ...

لها العيدُ في البَيدا و قطعِ وهادِها

أم تراك وليت شعري - لذلك قاصدا ؟ ولتشتيت ما التأم من الشمل عامدا ؟ ولبيعةٍ في عنقك للقريض جاحدا ؟ وما أخالك وأيْم الله إلا كائدا ، فما عهدتك عن مصاعد الشرف شاردا ، ولاعن مسالك الحق حائدا ، ألا تخاف الله أ نت ومَن شاكلك في دربٍ أجاهد لرسمه ؟ ودُرٍّ أجالدُ لنظمه ؟ وثقلٍ أكابد لضمّه ؟ ويْحَكُمْ.. أأغزلُ وتنكثون ؟ وأبني وتهدمون ؟ كأنكم بعذابي في الأرض موَكّلون !!

فإنْ قلتُ شرقًا قلتمُ الغرب قصدُنا ...

وإنْ قلتُ غربًا صار مقصدكم شرقَا

أكاد وإيّاكم على لُجّةِ النّوى ...

بريح التّجافي أنْ نكون بها غرقى

واعْلم يا عبد الله أني ما خصصتك بهذا العتب عابثَا ، ولا لحديث الفكاهة باعثاَ ، ولكن إنْ انفرط عقد هذا الجمان مِن بين يديّ ويديك ، لما كان أحرى بالعتَب مني إلا عليك ، لأنني لما طنّبتُ هذه الخيمة بأركان الأدب ، وأوتاد البيان ، جعلتُك عمودَ وسطِها ، ولؤلؤةَ سَفَطِها.

وعلّقتُ آمالي العريضةَ كلها ...

عليك يقينًا أنْ تحقّقها معي

وما خلتُ يومًا أن يكون إلى التباريح

.. أشكو مِن صدودك مفزعي !

فانظر رحمك ا إلى ماذا يؤول الرأيُ في غيبة عميده ، والجمع في خيبة عقيده ، والسيف في نبوَةِ حديده ، أوَ بعدما اطمأن الفؤادُ بجمعكم ، وأمرعتِ البلاد بنفعكم ، أرهصتَ وألمحتْ ؟ وأشرتَ وصرّحتْ ؟ وكنتَ فأصبحت ؟ هيهات.. هيهات.. فوالذي أنزل الحياة ، وأنبتَ النبات ، وجمعَ الشتات ، بجدّه أُقسِمْ ، وبمجده أُعظِم ، وبعهده أُلزِم :

ستلتذُّ مني لو بقيتَ بفسحةٍ ...

تروغ بها عمّا أنا لك راسمُهْ

إذا قيل أعلام البلاغة نُكِّسَتْ ...

ونوديَ: ناجي الحرز فُلّتْ عزائمُهْ)

فضع قولي هذا نصب عينيك وعلقه قرطا في أذنيك ولا تأسفن من تفريطك إلا عليك والسلام